أربعة كتب

— ٢ —

بقلم الاستاذ : عبد الحميد الرضيلي

٢ — « رسوم دار الخلافة لأبي الحسين الصابي »

(١) قبل البدء بالبحث عن هذا الكتاب نقول كلمة مختصرة عن هؤلاء الصابئة العلماء الذين حلوا ببغداد بعد ان جاؤوها من حران وهنا نرسم لك جدولا متسلسلا عن هذه العائلة قبل ترجمتهم

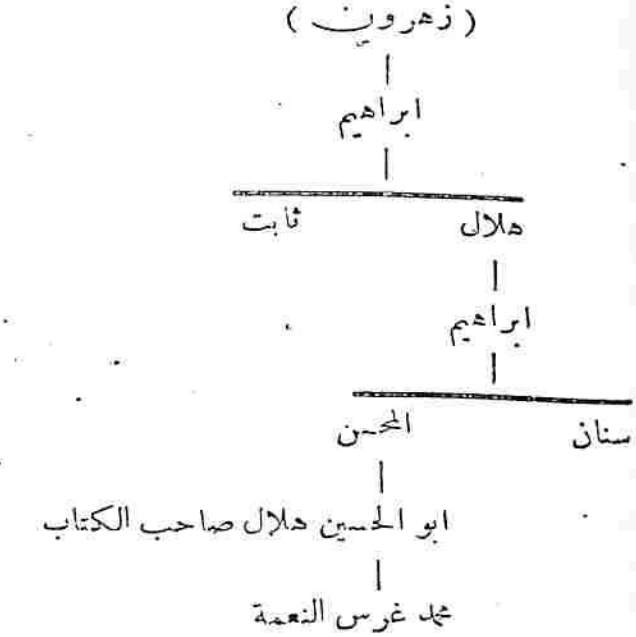

١ — زهرون وأولد هذا ابراهيم الحراني المتطبب ابا اسحاق : توفي ابراهيم هذا عام (٣٠٩ هـ)

٢ — واولد ابراهيم هذا هلالا وهو ابو الحسين الحراني المتطبب نزيل بغداد . وثابتاً المتوفي (٣٦٥ هـ)

٣ — ومن هلال تولد ابراهيم بن ابو اسحاق الكاتب الصابي المعروف ذو الرسائل وصاحب الرضي .

٤ — ومن ابراهيم هذا تولد ولدان سنان والمحسن

المتوفي (٣٦٩ هـ)

٥ ومن المحسن تولد هلال بن المحسن ابو الحسين صاحب رسوم دار الخلافه وهو اول من اسلم من هذا البيت وسنترجمه مفصلا

٦ — ومن هلال هذا تولد في عهد اسلامه ولده محمد غرس النعمة المؤرخ المشهور والمتوفى عام (٤٨٠ هـ) وبه انقرض ذكر هذه العائلة من التاريخ

(٢) هلال بن المحسن ابو الحسين المؤرخ المشهور . واحسن من استوفى ترجمته منقولة عن عدة كتب ومصادر هو المستشرق « امدروس » طابع كتابه تحفة الوزراء وطابع الجزء الثامن من تأريخه وقد اراحنا هذا المستشرق الفاضل بذكر اغلب النصوص واسماء من ذكر هذا المؤلف ومخلص ذلك : هو هلال ابو الحسين بن المحسن ولد ببغداد عام (٣٥٩ هـ) سمع كما يقول الخطيب : اباعلي الحسن بن احمد الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وابا بكر الخراز : كتبنا عنه وكان صدوقا . . واسلم باخرة وسمع من العلماء في حال كفره لانه كان بطلب الأدب ، وقال سبط ابن الجوزي .. كان ابو الحسين هلال بن كبار العلماء والادباء ، وقال الصلاح الصفدي في الوافي .. كتب ابو الحسين لفخر الملك ابي غالب محمد بن الخان ولما مات اودعه ثلاثين الف دينار ولم تؤخذ منه لأن الوزير مؤيد الملك ابا علي الرخجي كان صاحبه واعترف هو له بذلك فقال هي لك فعاش فيها الى ان مات وقيل ان هلالا ترك هذا المبلغ لابنه غرس النعمة . انتهى مخلصاً مما ذكره هذا المستشرق

اقول وكان ابو الحسين هذا من اصحاب النعمة والترف ومن الفصحاء والكتاب اتصل بالبلاط العباسي وعرف احواله واسراره فاستطاع ان يوفق بين المتناقضات في البلاط ولا يغضب احداً وكان يتقاضى من فخر الملك فقط ايام اتصاله به عشرة آلاف دينار .

ولأبي الحسين عدة كتب مذكورة في ترجمته أما ما وصل الينا منها فهي

١ — تأريخ الوزراء المسمى تحفة الامراء طبع في بيروت

وابتدأه بترجمة الوزير ابن الفرات جعله ذيلا على تاريخ الوزراء للصولي وتاريخ الوزراء للجهشياري المطبوع .

٢ — كتاب التاريخ ذيله على تاريخ خاله ثابت بن سنان الصابي وهذا الكتاب لم يعثر منه على شيء الا الجزء الثامن وقد طبع في ليدن وبيروت في آخر تحفة الامراء ويبدأ بسنة (٣٨٩ هـ) وينتهي الى (٣٩٣ هـ) ونشر ملحقاً بذيل تجارب الأمم للروذراوري .

٣ — رسوم دار الخلافة وهو الذي نحن بصدد الكلام عنه في هذا البحث .

وهو كتاب لا يزال خطياً . ثمين جداً ومهم للدارسين آداب البلاط العباسي واداب الخلفاء واحوالهم واوضاعهم الداخلية وهو كباقي كتبه التي بايدينا يدل على ان ابا الحسين كان مثقفاً ثقافة واسعة في موضوعاته التي يكتبها وكان مطلعاً اطلاعاً واسعاً على اسرار البلاط العباسي مدققاً لا يقبل الرأي الخطير ولا المبالغة والروايات المزيفة وهو يحاكم من قبله فيما ينقلون ويجادلهم ويوجه احياناً آراءهم توجيهاً منطقياً مقبولا . والكتاب ألف في زمن القائم بامر الله وقدم له وافتتحت مقدمته وخاتمته بذكره ويمدح العباسيين واليك بعض النبذ عن الكتاب ليتضح لك اكثر : قال في اوله وفي سبب تأليفه (.. ووجدتني قد سمعت من ابراهيم بن هلال جدي ما لم يكن قد بقي في وقته من يشاركه في كثير من علمه وعلل ماوقع الاطلاع عليه منه ولا بقي الا من يشاركني في اسناده وروايته عنه وخفت ان تلحق هذه البقية تلك المواضي المنسية ورأيت حقوق النعمة التي غمرتني وغمرت اسلافي للدولة العباسية ثبت الله اركانها تقتضي العناية نشر اعلام سننها القديمة . . . وابدأ بذكر الدار العزيزة ...)

.. ومما قال في هذا الموضوع الطويل الذي بحث فيه عن كل ادوار البلاط العباسي « ... كانت الدار عظيمة السعة ... ومن بعض امورها ان كان فيها مزارع واكرة وعوائل برسمها واربعمائة حمام لمن يحويه من اهلها وحواشيها .. واما في ايام المكتفي بالله فانها اشتملت على

عشرين الف غلام دارية وعشرة آلاف خادم اسود وصقالبة .. واما في ايام المقتدر ... الخ » وفي الكتاب فصل مهم يحقق فيه المؤلف عن مدى صحة اقوال المؤرخين القدامى عن بغداد وآرائهم عن نفوسها الكثيرة وحماماتها وفيه فصل مهم ايضا عن خراج الدار ومصروفاتها ويذكر قوائم الصرف التي تشمل حتى الفراشين والبوابين واصحاب الثلج والطالبين وهذا البحث الطويل يفيد المتتبع للحالة الاقتصادية في الدور العباسي واليك نموذجا مما قال « .. حدث علي ابن عيسى ... ان الناظرين في ايام الراضي اجتمعوا على ان قدروا وقرروا النفقة في كل يوم على الحذف والاقتصاد والتخفيف والاقتصار ثلاثة آلاف دينار... » وفيه ايضا فصل عن آداب الخدم وآداب تقبيل اليد وتطورها الى تقبيل الأرض وما الى ذلك من اصول مقابلة الوزراء للخليفة وبقية الزائرين ومما قال (.. اذا دخل الداخل الى حضرة الخليفة فلم يكن من العادة القديمة ان يقبل الارض لكنه اذا دخل ورأى الخليفة قال السلام عليك امير المؤمنين وربما تقدم الوزراء والأمير فاعطاه الخليفة يده مغشاة بكمه اكراما له بتقبيلها واختصاصاً بهذه الحال الكبير محلها والعلة في ان يغشيها بكمه لئلا يباشرها بفم اوشفة وقد عدل عن ذلك الى تقبيل الارض .. فاما ولاة العهود من اولاد الخلفاء والاهل من بني هاشم والقضاة والفقهاء والزهاد والقراء فما كانوا يقبلون يداً ولا ارضاً لكنهم يقتصرون على السلام . .

وفي الكتاب فصل مهم عن كيفية قراءة الاشعار امام الخلفاء والوزراء والكتاب وكيف يكون ذلك وهو فصل قلما يوجد في غير هذا الكتاب كذلك في الكتاب واثناء طياته امور ورسوم وعادات كثيرة عن آل بويه ممن عاصرهم المؤلف وقال في فصل آداب النزول والركوب (.. اما مراتب النزول والركوب من الدور والابواب فلها حدود يعرفها البوابون ويأخذون الناس بالوقوف عندها وترك تجاوزها وعلى خلفاء الحجاب والبوابين ان يمنعوا الجند من دخول الدار بسلاح الامن كان برسمها من الخدم والغلمان والدارية